منّ بني اسرائيل

للاب لويس شيخو اليسوعي

جاءنا من احد السادة الفضلاء في الثغر كتابٌ يطلب فيهِ رأينا في منّ بني اسرائيل. وممّا قال في أثنائهِ انهُ قرأ في مجلّة مصريّة حديثة النشأة كلاماً في هذا المعنى ارسل لنا نصّهُ واستفتانا عن صحّتهِ وهذا حرفهُ: «يذكر قرّاء التوراة الاسرائيلية ما ورد فيها من ان المنّ هبط على بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر الى بلاد فلسطين وقد اختلف العلماء في ماهيّة المنّ المذكور فقال بعضهم: انهُ عصارة شجرة الطرفاء تُخرجهُ منها الحشرات. وقال آخرون: بل هو ضربٌ من النبت من نوع البهق وهو المذهب الأكثر شيوعاً ثمّ قام عالمٌ آخر فقال: انّ ما يخرج من عصارة الطرفاء هو المنّ المقصود في التوراة وينطبق وصفهُ على وصف المنّ السماويّ»

جواب المشرق

نقول اننا كنّا اطّلعنا على هذه النبذة الواردة في اوّل اعداد مجلّةٍ لا نحبُّ ذكر اسمها هنا لما نعهد من ادب منشئها وفضلهِ لاسيما واننا نعلم انهُ نقلها بحرفها عن بعض اعداد المقتطف (السنة ٢١ ص ٢٣٣) دون تروٍّ كافٍ (١ وهو لا يعلم انّ اصحاب المقتطف كما لوف عادتهم لا يزالون يتوقّبون كل الفُرص لينفثوا في القلوب سمّ شكوكهم وتعاليمهم الكفريّة. ولو كانوا ساعتهم الله راجعوا بالنظر اسطرًا اخرى اثبتوها سابقًا في مجلّتهم عن المنّ (السنة ١٦ ص ٦٤١) لخجلوا ان يناقضوا ذاتهم بذاتهم ويتقلّبوا هكذا مع الرياح. وقد قضى الله باهل الالحاد والبهتان ان يتلوّنوا كابي براقش فلا يثبتوا على عهاد. ويهيموا في كلّ وادٍ

فقبل ان نخوض في المسألة التي عُرضت علينا لا بُدَّ من ذكرِ ما ورد في الاسفار الكريمة عن المنّ الذي اقات بهِ الله بني اسرائيل. جاء في سفر الخروج (١٦: ٤، ٥، ١٤ — ٣٢): قال الربُّ ها انا ممطرٌ لكم خبزًا من السماء فيخرج القوم ليلتقطوهُ طعامَ كلّ

١) ما لم يكن هذا من نوع الاتفاق وعلى طريقة الصُّدفة فانَّ العقول السامية ربَّما توافقت

يوم في يومهِ . . . فاذا كان اليوم السادس فليُعِدُّوا ما يأتون بهِ وليكن ضِعْف ما يلتقطونهُ كلَّ يوم . . . وبالغداة كان سقيط الندى واذا على وجه البرِّيَّة شيء دقيق مكلَّل كالجليد على الارض . فلمَّا رآهُ بنو اسرائيل قال بعضهم لبعض : مَنْهو . لأنهم لم يعلموا ما هو . فقال لهم موسى : هو الخبز الذي اعطاهُ لكم الربُّ مأكلًا . هذا هو الذي امر الربُّ بهِ التقطوا منهُ كل واحد قدرَ اكلهِ عُمِرًا (١ لكل نفس . . . ففعل كذلك بنو اسرائيل والتقطوا فمنهم من اكثر ومنهم من اقلَّ ثمَّ كالوهُ بالعُمِر فالمكثر لم يفضل لهُ والمُقلّ لم ينقص عنهُ . . . وابقى منهُ الناسُ الى الغداة فدبَّ اليهِ الدود وأنتن . وكانوا يلتقطونهُ في كل غداة . . . فاذا حميت الشمس كان يذوب . ولمَّا كان اليوم السادس التقطوا طعامًا مضاعفًا عُمِرَيْن لكل واحد . . . فتركوهُ الى الغد . فلم يُنتن . . . ولمَّا كان اليوم السابع خرج اناس من الشعب ليلتقطوا فلم يجدوا شيئًا . . . وسمَّاهُ آل اسرائيل المنَّ وهو كبزر الكزبرة ابيض وطعمهُ كقطائف بعسل » وزاد في سفر العدد (١١ : ٧) انَّ « لون المنِّ كان كلون المُقْل وكان الشعب يطوفون فيلتقطونهُ ويطحنونهُ بالرحى او يدقُّونهُ في الهاون ويطبخونهُ في القدور ويصنعونهُ مليلًا وكان طعمهُ كطعم قطائف زيت . وكان عند نزول الطلِّ على المحلَّة ليلًا ينزل المنُّ عليهِ » . وورد في سفر يشوع (ف ٥) انَّ « المنَّ انقطع عن بني اسرائيل بعد اربعين سنة يوم اكلوا غلَّة ارض كنعان » بالجلجال

هذا مجمل ما اتى عن المنِّ في الكتب المنزلة فضلًا عن اشارات عديدة الى هذا القوت السماوي وردت في زبور داود وكتاب الحكمة واسفار العهد الجديد

فنسأل كلَّ قرَّائنا الكرام بل كلَّ من يقرّ بصحة التوراة ولا ينبذ ظهريًّا شهادة التاريخ أيمكن تفسير الآيات السابقة على طريقة طبيعية تنفي عملهُ تعالى والمعجزات الباهرة التي اجترحها حبًّا بشعبهِ اسرائيل ولبيان قدرة ذراعهِ عزَّ وجلَّ بازاء الامم

بيد انَّ زنادقة عصرنا حاولوا ان ينكروا هذه الخوارق العجيبة ويمحوا من شأنها فدونك ما وجدوا ليسندوا اليهِ مزعمهم . سمعوا انَّ في بعض انحاء الشرق ضروبًا من الشجر يسيل منها شبه صمغ لهُ بعض الشبه بالمنِّ الموصوف في الاساطير المقدسة فرفعوا عقيرتهم وكرَّروا على رأس الملأ انَّ طعام العبرانيين في برِّيَّة سيناء هو هو المنُّ الذي يجتنيهِ الشرقيون

---

١) العُمِر كيلة وزنها قريب من اربعة ليترات وهي عُشر الإيفة

في بعض البلاد فيتخذونهُ مأكلاً عند حاجتهم. وليس كلام المقتطف وصاحب الجريدة الناسخة عنهُ غير صدًى لهذه المزاعم الكفريَّة

فلإبطال هذه الحجَّة الواهنة التي ركن اليها الملحدون راجعنا كل ما سطَّرهُ الكتبة الاقدمون والرحَّالة المحدثون بخصوص الاشجار التي يُلتقط منها المنّ فوجدنا ان مرجعها الى اربعة اصناف

الاوَّل الحاج (Alhagi Maurorum D.C.). قال ابن البيطار (٢ : ٣) في وصفهِ « انهُ شجر مشوك يُعرف بالشام و بالديار المصريَّة بالعاقول . . . وشوكهُ اخضر وزهرهُ دقيق الى الزُرقة ما هو يخلف مزاود صغارًا فيها بزر شبيهٌ ببزر الحُلبة واصولهُ عليهِ متشعِّبة وفي اوَّل خروجهِ من الارض يكون لهُ ورق حمصيّ الشكل » . وقال في مادَّة ترنجبين (١ : ١٣٧) : « الترنجبين طلٌّ يقع من السماء وهو ندًى شبيه بالعسل جامد متحبِّب وتأويلهُ عسل الندى واكثر ما يقع على شجر الحاج وهو العاقول ينبت بالشام وخراسان ذو ورق اخضر وزؤارهُ احمر لا يثمر والمختار منهُ ما كان ابيض خراسانيًّا » . واعلم انَّ الحاج كثير في اواسط آسية وافريقية الَّا ان المنَّ لا يُجنى عليهِ سوى في بلاد فارس بجوار هراة وقندهار فينقل منهُ سنويًّا نحو الف كيلو ليباع في بلاد الهند ومنهُ تُعمل صنوف الحلويات. امَّا في برِّيَّة سيناء فانَّ الحاج فيها قليل ومنهُ ما تزر زهيد لا يجمعهُ احدٌ ليبيعهُ لقلَّتهِ وبعض اهل البدو يجنونهُ فيأكلونهُ

الصنف الثاني الطَّرفاء وهي نوع من الحضاء يدعوها الباتيُّون المحدثون ,Tamarix) (Tamarisque وهي اصناف منها طرفاء المنّ (Tamarix mannifera) وطرفاء الغض (Tamarix gallica) وعليهما يُجنى المنّ في شبه جزيرة سيناء . وذلك انَّ صنفًا من الهوامّ يُدعى (Coccus manniparus) يأبر اغصان الطرفاء فيسيل منها صمغٌ تذيبهُ الشمس فيقطر في الارض كقطرات الندى . واهل البر يجمعونهُ وهو مخلوط باوراق الشجر فيخلِّصونهُ ويدَّخرونهُ عندهم في اكياس ثمَّ يادمون بهِ خبزهم . والطرفاء في برِّيَّة سيناء اكثر ما تنبتُ في وادي غرندل ووادي فيران ووادي الشيخ . ومع وفرتها اذا جُمع ما يسيل منها من المنّ طول السنة لا يكفي لقوت شعب اسرائيل ليوم واحد بل لأكلة واحدة ظلت شعري كيف يكفي ليقوتهم مدَّة اربعين سنة

ثم انَّ منَ الطرفاء لا يُجنى في كلّ اشهر السنة بل يُلتقط في شهري تموز وايلول فقط وفي السنين التي يكثر فيها الندى

وزد على ذلك انَّ علماء الكيمياء حلّلوا من برّيّة سيناء فوجدوهُ لا يصلح وحدهُ للغذاء الانسان ما لم يضاف الى طعام آخر وذلك لانَّ عُنصر الازوت الذي يغذي الحيوان والانسان قليل جدًّا في المنّ لا يفي بقوام حياته . واكثر ما يتألف منهُ المنّ المادّة السكّريّة

الثالث هو شجر المفص (Chêne de noix de galle) . وهو كثير في بلاد ما بين النهرين يتكوَّن عليهِ المنّ كما يتكوَّن على الطرفاء ومنهُ صنفٌ ابيض وهو نادر يسيل من الشجر فيجمعهُ الاكرّاد ويبيعونهُ بثمن غالٍ . وصنفٌ آخر يُجنى مع ورق الشجر فهو لذلك مخضرّ يباع في الاسواق في نيسان وايّار . وقد اكلنا منهُ مرارًا في وطننا واهل الموصل يصنعون منهُ قطائف لذيذة اهدانا منها حضرات الآباء الدومينكان لمّا اجتزنا في الموصل منذ ثلاثة اعوام . وهذا الصّنف من المنّ كمنّ الطرفاء لا يصلح للغذاء وحدهُ فضلًا عن قلّتهِ في شبه جزيرة سيناء

الرابع البهق (lichen esculentus,canona esculenta) . ليس البهق شجرًا بل هو نبات كالطحلب يعلو الصخور واكثرهُ في بلاد الجزائر وصحراء افريقية ومنهُ شيء في جزيرة العرب والعجم و بلاد ما بين النهرين . ينبت منهُ عند توفّر الندى ثمرٌ شبه الحمّص اذا كسرتهُ وجدت في داخلهِ كشبه الدقيق طعمهُ شديد الحلاوة واهل الجزائر يدعونهُ وَسَخ الارض (١ . فذهب بعض الزنادقة الى انَّ الاسرائيليين اقتاتوا بثمر البهق هذا في غضون رحلتهم الطويلة . ويردُّ هذا القول نفس الحجج التي اوردناها سابقًا بخصوص منّ الحاج والطرفاء من حيث القلّة وعدم الصلاح للغذاء

ويمكننا ان نضيف الى هذه الاصناف منّ يُجنى في بلاد صقلية على شجر الدردار (frêne) لكنَّهُ لا يكاد يستعملهُ اهلها الّا في تركيب بعض الادوية المُسهلة . وكذلك ربَّما وُجد قليل من المنّ على اشجار غير السابق ذكرها كالزيتون والبطم

فهذه خلاصة ما وصفهُ الباحثون وعاينهُ اصحاب الرّحل والاسفار . فلعمري انّى استطاع الجحدة ان يقابلوا بين منّ العبرانيين وما يُعرَف الآن باسم المنّ فيزعموا انَّ كليهما واحدٌ

١) منهم برتلو الكيميويّ الشهير . وهو ممّن يُعادون الدين واهلهُ .
٢) راجع مجلّة الطبيعة La Nature, 8 *Octobre*, 1898, p. 298

ولو سبروا الامر بميار العقل وقاسوه بقياس الادراك لما اجترأوا على مثل هذا القول الفاحش وفيهِ من الافراط ما لا يُنكر

ولبيان الفرق بين كلّ منهما احببنا ان نعدّد صفات المنّ الاسرائيليّ التي تفرزهُ عمّا يشبههُ في عهدنا اسمًا لا جسمًا:

١ ظهور المنّ لبني اسرائيل كان بغتةً بعد ان تذمّروا على موسى وهرون وتلهّفوا على مآكل مصر وخبزها ولحمها فوعدهم الربّ ان سيعطيهم في الغد خبزًا. فقام بوعدهِ

٢ لمّا رأى العبرانيّون المنّ لاوّل مرّة اخذهم الدهش ولحق بهم الانذهال فلم يعرفوا ما هو. فمن ثمّ دعوهُ منًّا (מן) وتأويلهُ: ما هذا. فلو كان المنّ شيئًا طبيعيًّا لما تحيّروا من ذلك ولأدركوا الامر على طريق سهل بمجرّد نظرهم الى الاشجار او النبق التي منها يسيل

٣ ان منّ العبرانيين كان يُسحق ويدقّ ويُجعل منهُ فطائر تُشبع المرء ونسدُّ عوزهُ. وقد سبق انّ المن المعروف اليوم لا يصلح للغذاء وهو ايضًا لزج لا يمكن دقّهُ

٤ كان المنّ الاسرائيلي قوتًا للشعب يومًا بيوم فيُنتقى اذا ادُّخر للغد والمنُّ الحالي يمكن حفظهُ زمنًا طويلًا ما لم يُعرَّض لاشعّة الشمس وينقل للبلاد ليباع وقد رأينا ذلك بالعيان

٥ ثم انّ من كان يجني من المنّ كثيرًا اوقليلًا لم يفضل لهُ وكذلك المُقلّ لم ينقص عنهُ. وهذه معجزة باهرة لا تصدق في المن الحالي

٦ ومن عجيب امر المنّ الاسرائيلي انّهُ كان يبقى في يوم السبت لم يدبّ اليهِ الدود لئلّا يُضطرّ بنو اسرائيل الى العمل في يوم السّبت وكان الربُّ انهاهم عنهُ.

٧ ولذلك كان المن لا يهبط في يوم السبت وتلك اعجوبةٌ أُخرى لا تُنكَر

٨ انّ المنّ اقات بني اسرائيل في كل مراحلهم. فلو كان منهُم هو منُّ الطرفاء او غيرها من الشجر لاقتضى ان تكون كل شبه جزيرة سينا كروضة غنّاء لا تنقطع عنها الغابات في طولها وعرضها وما ورد في الاسفار الالهية يصف لنا برّيّة سينا مملحةً كثيرة الصخور قليلة المياه كما نعهدها اليوم

٩ لو كان المن الطبيعي هو المقيت لبني اسرائيل لاقتضى ان يكون مجتنى كل نهار نحو مليوني كيلو وهذا ممّا لا يمكن جمعهُ ولو كان عدد اشجار الطرفاء في ذلك الزمان ستمائة الف مرّة اكثر من اليوم

١٠ المنّ انقطع في يوم اكل الاسرائيليون غلّة بلاد كنعان لعدم حاجتهم بعد ذلك الى المنّ

١١ امّا المن الذي وُضع في تابوت العهد فبقي تحفوظاً مع عصاة هرون ولوحَي الوصايا العشر الى خراب الهيكل

هذه اشهر خواصّ منّ العبرانيين الذي ما فتئ اليهود ان يعدُّوا نزولهُ على آبائهم كنعمة خارقة لم يُسبق اليها. وكذلك الانبياء لا يزالون يذكرون بني اسرائيل بما صنعهُ الله مع اجدادهم من الآيات الباهرة وكلُّهم يعتبرون المنّ بين اغربها واعجبها (راجع المزمور ٧٧ والجيل يوحنّا ف ٦). وان وُجد بعض التشابه بين خواصّ المنّ الطبيعي ومنّ بني اسرائيل فانّ وجوه المباينة اكثر واوضح

وقد زعم البعض انّ بني اسرائيل كانوا اذا اكلوا المنّ استطعموا ما شاؤوا واستدوا رأيهم في ذلك الى ما جاء في سفر الحكمة (١٦ : ٢٠) : « امّا شعبك فاطعمتهم طعام الملائكة وارسلتَ لهم من السماء خبزًا معدًّا بلا تعب يتضمّن كلّ لذّة ويلائم كلّ ذوق » الّا انّ سواد المفسّرين قد اتّفقوا اليوم على انّ المراد بقوله « يتضمّن كلّ لذّة » المبالغة في وصف لذّة المنّ اي انّهُ لذيذٌ جدًّا. وقولهُ : « يلائم كلّ ذوق » اي يصلح لذوق كل آكليه فليس من احد يأبى اكلهُ. هكذا شرح هذه الآية القديس اوغسطينوس نفسهُ في القرن الخامس. وما يؤيّد هذا التفسير انّ بعض بني اسرائيل تشكّوا من عدم وجود طعام آخر غير المنّ (سفر العدد ١١ : ٦) فلو كانوا وجدوا فيه طعم كلّ المآكل لما كان وجهٌ لتذمّرهم

فلنختم اذًا هذه الاسطر الوجيزة بقولنا ان سهام الكفرة قد طاشت اذ ارادوا نفي هذه المعجزات الجليلة التي صنعها الله مع شعب اسرائيل . وانّ بين المنّ الشائع والمنّ العجائبي برًّا عظيمًا. قال ولسن الشهير : ولو افترضنا انّ العلماء يتمكّنون من بيان وحدة المنّ الحالي والمنّ الاسرائيلي فتكون تغذية شعب يُربي عددهُ على المليونين بمنّ اشجار الطرفاء او غيرها اعجوبةً اعجب من العجائب المذكورة في التوراة. وكذا قال المقتطف نفسهُ في المجلّد السادس عشر (ص٦٤١) لمّا ردّ على من ارادوا بيان وجود المنّ ببعض الطرائق الطبيعية فقال « وذلك اعجب من خلق المنّ بطريقة الاعجوبة »